

## تعدد أنماط الخطاب باختلاف المقام

د. إبراهيم بن عبد الله بن غانم السماعيل

الأستاذ المشارك

قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، أما بعد فهذا بحث بعنوان (تعدد أنماط الخطاب باختلاف المقام)، تطرقت فيه لمفهوم النمط، مع إلمامة سريعة على مفهوم الخطاب، وبيان أسباب تعدد الخطاب لمراعاة المقامات الخاصة، والعامّة.

مبيّنًا فيه مع العديد من الشواهد الشعرية وقليل من النثرية أثر المقام في اختلاف نمط الخطاب لدى المتكلم؛ متنقلا بين مدوناتنا الأدبية، التي حفلت بمثل هذه النصوص شعرا ونثرا.

من حيث أنّ لكل مرحلة عمرية خصائصها، ولكل حالة نفسية أو جغرافية، أو اجتماعية ما يستلزم تغيير نمط الخطاب بما يتلاءم وذلك المقام، مراعيًا وروده في سياق معيّن؛ ذلك " أنّ السياق والخطاب وجهان لعملة واحدة، فلا معنى ولا تأويل لخطاب دون ربطه بسياقه، كما أنه لا يمكن الحديث عن سياق بدون خطاب يوضع فيه" (١).

وجاء توزيع البحث على هذا النحو:

١- المقدمة.

٢- تمهيد:

وفيه تطرقت لتحديد مفهوم النمط، وبيان مفهوم الخطاب.

٣- المبحث الأول:

المقامات الخاصة:

(١) المرحلة العمرية.

٢) المكانة الوظيفية ( التعيين، العزل، الإمارة).

٣) المنزلة الاجتماعية ( البنوة ، الأبوة، الأخوة ).

٤- المبحث الثاني:

المقامات العامة:

(١) السلم والحرب.

(٢) الفقر والغنى.

(٣) البداوة والحضارة.

٥- المبحث الثالث:

العوامل الأخرى المؤثرة في تعدد الأنماط:

(١) هيبة المخاطب.

(٢) شرف الزمان.

(٣) قدسيّة المكان.

٦- الخاتمة.

٧- ثبت المصادر والمراجع.

أسأل الله تعالى أن يجعله بحثاً مباركاً على كاتبه وكل مطلع عليه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقل به ميزاني وميزان والديّ يوم أن نلقاه، وأن يشكر سعي كل من أسدى إليّ فيه معروفاً، أو سهل فيه معلومة، أو أسهم في إتمامه.

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد خير من ألقى الخطاب وأتقنه.

### التمهيد:

مفهوم النمط: النمطُ يعني "الطريقة". وَمَطُّ من العِلْمِ والمتاع وكلّ شيء، أي: نَوْعٌ منه" (١). ومن ذلك أنماط الكلام، وتعددتها، واختلافها حسب مقاماتها.

(١) العين: (نمط)

## مفهوم الخطاب:

كثُر الحديث عن الخطاب، وتعددت تعريفاته، ومنها أن الخطاب مرادف للكلام أي الانجاز الفعلي للغة أي أن " اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة، كما أنه يتكون من متتالية تشكل رسالة، لها بداية ونهاية" (١). "والخطبُ: الأمر الَّذِي تَقَع فِيهِ المخاطبة، والشأنُ والحالُ" (٢).

## المبحث الأول: المقامات الخاصة:

### ١- المرحلة العمرية.

لكل مرحلة عمرية خصائصها، فمرحلة الصبا ليست كمرحلة الشباب وعنفوانه، وهما مرحلتان مختلفتان عن مرحلة اكتمال الرجولة، التي تغاير بطبيعتها مرحلة النضج والاستقرار النفسي وبلوغ الأشد.

وإذا كان هذا من المشتركات الإنسانية؛ فهو من الباب الأوضح في المرهفين الحسَّ المتقدين المشاعر المشتعلين العواطف من الأدباء المعبرين عن كل ذلك شعرا ونثرا، وهذا ما يجعل المتلقي يقف بجلاء على نمط إبداع المبدع في حال شبابه المغاير لما يجود به في آخر مراحل حياته، حين اشتعال الرأس شيئا، وانطفاء فورة الدواعي إلى الملذات، أو ضعفها. وهذا الأمر أعني اختلاف تفكير المبدع وميوله واهتماماته ونزواته وتصرفاته، هذا الاختلاف مما تفتن له المبدع نفسه، فصار يحكي في حال كبره ما كان واقعا أيام شبابه، في حين صار اليوم خبرا من الأخبار!

وهذا الحكي ربما جاء مع المكابرة في التغيير، وأن تقدم العمر لم ينل منه، وربما أقرّ بالتقدم العمري، وسلّم بهذا التغيير الفطري، ومن المكابرة في التغيير ما نراه في هذا الحوار الشعري الذي أجراه عمر بن أبي ربيعة في إشارة إلى حاله مع الغواني، ونظرته له بعدما كبر وفارق الشباب، وكيف أنه باق على ما به لم يتغير، وأن التغييرات إنما هي ظاهرية في الجسم الخارجي، لم تتجاوزه إلى الخور الروحي، أو الصدود النفسي، فالفتى هو الفتى:

(١) تحليل الخطاب الروائي: ٢

(٢) لسان العرب: (خطب)

"رَأْتَنِي خَضِيبَ الرَّأْسِ (١) شَمَّرْتُ مِزْرِي  
فَقَالَتْ لِأُخْرَى عِنْدَهَا تَعْرِيفِنَهُ  
سَوَى أَنَّهُ قَدْ لَاحَتِ الشَّمْسُ لَوْنُهُ  
وَلَاخَ قَتِيرٌ (٢) فِي مَفَارِقِ رَأْسِهِ  
وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ كَالْغَيْمِ خَيَّلْتُ  
وَقَدْ عَهَدْتَنِي أَسْوَدَ الرَّأْسِ مُسَدِّلاً  
أَلَيْسَ بِهِ قَالَتْ بَلَى مَا تَبَدَّلَا  
وَفَارِقَ أَشْيَاعَ الصَّبِيِّ وَتَنَقَّلَا  
إِذَا غَفَلْتَ عَنْهُ الْخَوَاضِبُ أَنْصَلَا  
سَمَاوَتُهُ إِذْ هَبَّتِ الرِّيحُ فَانْجَلَى" (٣)

وأما حكاية الحال دون تملص من التقدم العمري فهو ما ورد في قول عمر بن أبي ربيعة في نص يبين أثر المرحلة العمرية على المبدع: "أتتني امرأتان في أيام غزلي، فجعلت إحداهما تسرّ إلي سرّاً، والأخرى تعضّني، فما شعرت بعضّة هذه من لذة سرارة هذه" (٥)، هذا نص مهم يجعلنا نتعاشق مع عمر بن أبي ربيعة نفسه إيمانه باختلاف المراحل، إذ يقول: "في أيام غزلي"، ذلك أن للغزل وهو الفن الشعري الذي أكثر فيه عمر وأطال وأجاد، ذلك الفنّ مع أهميته في حياة عمر إلا أنه يبقى في مرحلة تتمثل في "أيام" للغزل امتدت معه وقت شبابه، ولم تستمر معه طوال حياته وحال تنسكه.

فمع إكثار عمر بن أبي ربيعة من ذكر النساء في شعره متغزلاً مشبهاً على قول الناقد الأصمعي حين قال: "ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنتره بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء" (٦)، مع ذلك كله فإن ذكر عمر بن أبي ربيعة النساء هذا لم يلازمه طوال حياته، ومن أسباب ذلك الطبيعة البشرية التي تختلف فيها الاهتمامات نظراً لاختلاف المرحلة العمرية.

(١) الخضيب: كل ما غير لونه. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٥ / ٤٥

(٢) القتير: مجاز في الشيب، ينظر: تاج العروس ١٣ / ٣٦٤

(٣) الزهرة : ١٣٣

(٤) بدائع البدائه ١٦٩

(٥) الموشى ٧٧، وينظر الخبر في: الشكوى والعتاب: ١٩٠

(٦) فحولة الشعراء : ١٨

وهذا ما أشار إليه النقاد إشارة هي غاية في الحسن؛ حين بينوا أن اختلاف الأذواق لا في الإبداع فحسب وإنما يسري هذا الاختلاف حتى في التلقي نظرا لتباين المراحل العمرية، لذلك " نجد قارئاً واحداً معيّنًا يقرأ اليوم قصيدة يطرب لها وتروقه ، فإذا قرأ القارئ نفسه القصيدة ذاتها بعد مدة إذا بها لا تروقه كما راقته في المرة الأولى؛ بل إنه يراها تافهة ، أو متوسطة ، والقصيدة لم تتغير وإنما الذي تغير ذوق الناقد ، لأنه ارتقى بفكره ، ومستواه العقلي، وثقافته حتى صار ما يعجبه أمس لا يروقه اليوم، لأنه أصبح يتطلع إلى مثل آخر أسمى من الأول" (١).

ومع اختلاف الإبداع نظرا لاختلاف المرحلة العمرية؛ فإن سماع المبدع شعرا أو نثرا أو معايشته موقفاً مشابهاً لمرحلة سابقة من عمره ربما أثار منه الشجن، وحرّك منه ما سكن، لكن هيهات فالعمر بتقدمه مهيم، إذ لا يكاد تكون الحال المشابهة إلا مجرد محرك، وباعث شوق، لا معايشة تامة! أنشد " ريسان العذري:

لو حرّز بالسيف رأسي في مودتها      لطار يهوي سريعاً نحوها رأسي

وسمع به ابن أبي ربيعة بعد ما نسك ولبس الصوف، فقال: أحسن والله. وتحرك، فقال: تالله لقد هيجتم علي ما كان مني ساكناً" (٢)، وهذا النصّ مهم لبيان ما للمرحلة العمرية من أثر؛ إذ ننطلق من لسان عمر بن أبي ربيعة نفسه ليعبر بنفسه عن نفسه بعد ما نسك ولبس الصوف؛ بقوله مؤكداً كلامه بالقسم " تالله لقد هيجتم علي ما كان مني ساكناً". وقد صاحبت مرحلة عمر بن أبي ربيعة العمرية هذه حالة زهد وتنسك عزم فيها ألا يعود لسالف حاله من الصباغة والغزل؛ حين " تاب في آخر أيامه وتنسك، ونذر الله أن يعتق الله رقبة لكل بيت يقوله" (٣).

وهذا التقدم في العمر، مع ما صاحبه من الزهد والتنسك لم يمنع عمر من الخروج عن فضائه الزماني واحتباسه العاطفي الاختياري بدافع التذكر ولقاء المشابه؛ ليعود اضطراراً إلى

(١) أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب

(٢) الشكوى والعتاب ١٩٠

(٣) العقد الفريد ٦ / ٢٣١، وينظر الخبر في أمالي القالي ٢ / ٩

العيش في خطوة ارتدادية لحظية إلى ما كان عليه قبل الزهد حال الشباب، وهذا ما تحكيه هذه الحادثة التي أوردتها بنصها بتفاصيلها التي تحكي أنه " بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه، فإذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال؛ فألقى إليها كلامًا، فقال له عمر: يا عدو الله، في بلد الله الحرام، وعند بيته تصنع هذا؟ فقال: يا عماء، إنها ابنة عمي، وأحب الناس إلي، وإني عندها كذلك، ... فكتب:

تقول وليدتي لما رأته	طربت، وكنت قد أقصرت حيناً
أراك اليوم قد أحدثت شوقاً	وهاج لك الهوى داءً دفيناً
وكنت زعمت أنك ذو عزاءٍ	إذا ما شئت فارقته القريناً
بعيشك هل أتاك لها رسولٌ	يسرك أم لقيت لها خديناً
فقلتُ شكاً إليّ أخ محبٌ	كـبعضِ زمانينَا إذ تعلمينَا
وذو القلبِ المصابِ ولو تعزى	مشوقٌ حين يلقى العاشقينَا
فقصّ عليّ ما يلقى بهندٍ	وأشبهه ذاك ما كنا لقينَا
فكم من حلةٍ أعرضت عنها	وكنتُ بودها دهرًا ضنينَا
أردتُ فراقها، فصبرتُ عنها	ولو جنّ الفؤادُ بها جنوناً" (١)

هذا الرجوع الاضطراري إلى ما كان عليه أيام شبابه وقبل زهده وتنسكه بات خارجاً عن إرادته مما جعله يلقي نفسه على فراش جاريته ويتقلب؛ وهذا الأمر الطارئ لفت انتباه الجارية؛ لما "أنته بطعام، فلم يتعرض له، فقالت: أظنك، والله، قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء، فلا تكتمها"، وعند ذلك رضخ عمر للأمر الواقع ولم يتمالك المزيد من مقاومة الداعي "فقال: هاقي الدواة" وكتب الأبيات المستمدة مدادها من القلب لا من الدواة، فكتب أبياتاً شبابية الروح كهلة الزمان، فاختلطت فيها ثنائية التذكر للماضي والمعاناة في الحاضر: فهو وإن كان قد أقصر حيناً، إلا أنه اليوم قد أحدث شوقاً، وهاج له الهوى داءً دفيناً! فأتى في زهده وتقدم سنّه بما كان سائداً في أيام شبابه!

(١) المحاسن والأضداد، ٢٩٧، وينظر الخبر في: العقد الفريد ٦ / ٢٣١، وزهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٢٩٧، والأبيات

ومن فرط ميل عمر بن أبي ربيعة لمرحلة الشباب، وهيامه بها وبما تمليه عليه تلك المرحلة من متعة كان يضرب بها الأمثال ويعقد فيها التشبيهات، حيث تجلّى تأثير معجمه الشعري بلفظ الشباب من خلال إبراز جمال تلك المرحلة في شعره بروعة حسنها ورونق مائها؛ ومن ذلك قوله:

أبرزوها مثل المهاة تهادى      بين خمس كواعب أتراب  
وهي مكنونة تحير منها      في أديم الخدين ماء الشباب  
ثم قالوا: تحبها؟ قلت: ههرا      عدد الرمل والحصى والتراب

" قال ثعلب: وقال ابن الأعرابي في هذا البيت: وقوله بهرا، بمرم الله، أنظنون أني ليس كذا. قال: وقال غيره: عجباً لكم! كيف تظنون غير هذا! وقال بعضهم: هو من الابتهار، والابتهار أن يقول فعلت بفلانة ولم يفعل" (١).

فماء الشباب بادٍ في شعره في أرق أبياته، وأكثرها تعلقاً بالمحبة، المحبوبة التي تشبه "المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب" وهي بذلك تفوق الكواعب الخمس الأتراب مع جمالهن وتشابههن في الحسن، لكن أتى لجمال مهما بلغ حسنه أن يضاهي جمالا في خديه ماء الشباب؟! وكفى بالشباب ومائه حسناً وجمالا. لا سيما عند من عاش الشباب بكل تفاصيله، الشباب الذي أبلاه ذهاباً ومجيئاً في الأشعار غزلاً وتشبيهاً، وتعرضاً فيه لمواطن الجمال لهذه أو تلك من نساء عصره.

وذلك الوصف الدقيق البديع أثار إعجاب كبار النقاد؛ ومنهم الأصمعي إذ يقول:

أحسن ما قيل في اللون عمر بن أبي ربيعة:

وهي مكنونة تحير منها      في أديم الخدين ماء الشباب  
شف عنها محقق جندي      فهي كالشمس من وراء السحاب" (٢)

(١) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء: ٢٥٨، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٧٣

(٢) المصون في الأدب: ١٤، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٦١



ومن حضور مرحلة الشباب في حياة المبدع ما نراه في معجم عمر بن أبي ربيعة في معرض تعداد النعم، التي لا تخلو من كون الشباب إحدى أهم تلك النعم، فمن التصريح به تارة، إلى ذكره ضمن النضرة، والجواري الحسان تارة، وهذا ما نراه مرويا عنه عن واحدة من أبرز من عايشته مثنية عليه وعلى أخلاقه، إذ إنه لما "مات سهيل عن الثريا، أو طلقها، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة دمشق تطلب في دين عليها، فبينا هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز إذ دخل الوليد فقال: من هذه عندك؟ قالت: الثريا، جاءتك تطلب في دين ارتكبتها، فأقبل الوليد عليها، فقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئا؟ قالت: نعم، أما إنه رحمه الله كان عفيفا، عفيف الشعر، أروي له قوله:

رَجَعِ السَّلَامِ أَوْ لَوْ أَجَابَا	مَا عَلَى الرَّسْمِ بِالْبَلِيَيْنِ لَوْ بَيِّن
أَمْسَى مِنَ الْأَنْسِيسِ يِيَابَا	فِي لِي قَصْرِ ذِي الْعَشِيرَةِ بِالصَّائِفِ
ظَاهِرِي الْعَيْشِ نَعْمَةً وَشَبَابَا	وَمَا قَدْ أَرَى بِهِ حَيِّ صَدَقِ
حَافِظَاتِ عِنْدَ الْمَهْوَى الْأَحْسَابَا	وَحَسَانًا جَوَارِيًا خَفَرَاتِ
يَنْعَقْنَ بِالْبِهَامِ الظُّرَابَا" (١)	لَا يَكْتَرْنَ بِالْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبِعْنَ

فها هي النعم في معجم عمر بن أبي ربيعة الشعري تبدو في ظهور العيش من حيث النعمة والشباب، مع مجموعة من الجواري الجميلات العفيفات حافظات الأنساب، غير الخائضات في الأحاديث التي تقود إلى ما لا يحسن! فالشباب هنا من النعم صراحة وضمنا. والشباب في شعر عمر بن أبي ربيعة قسيم اللذة مع العيش نفسه، وهذا مما يؤكد أهمية مرحلة الشباب من جهة، ويعظم الحسرة في فقده، وبه تعظم مصيبة البين من الحبيبة؛ وهذا ما بدا في قوله الغنائي:

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٢٩٠، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٥٧، والظراب، الرّوای الصّغار، ينظر:

معجم ديوان الأدب ١ / ٢٤٥

(٢) المصون في الأدب : ١٤

"أجمعتِ خلّتي مع الهجرِ بيننا  
 أجمعتِ بينها ولم نكُ منها  
 جلّ الله ذلك الوجه زَيْنَا  
 لذة العيش والشبابِ قَضَيْنَا" (١).

بل إنّ مرحلة الشباب حاضرة الحضور الأكبر حتى في الرثاء! ذلك أن الموتى الذين سينالون سلام زائرهم هم الفئات المهمة في حياة الشاعر عمر بن أبي ربيعة: الأكارم الأجواد، والشباب المقتبلي العمر، والجميلات الظاهرات الحسن والجمال والنضج، فها هو ذا يوصي الراكب نحو المدينة بهذه الوصية:

يا راكبًا نحو المدينةِ جسرًا  
 اقرأ على أهلِ البقيعِ من امرئِ  
 أجدًا تلاعب حلقهً وزمَامَا  
 كم غَيَّبُوا فيه كرمًا ماجدًا  
 كمدِ على أهلِ البقيعِ سلامَا  
 ونفيسةً في أهلها مرجوةً  
 شهْمًا ومقتبلَ الشبابِ غلامَا  
 جمعت صباحةً صورةً وتَمَامَا (٣)

لكن المرحلة العمرية تضرب بجرائها، وتلقي بظلالها على حياة الشاعر الغزلي ليتنسك ويكتفي برد السلام دون مجارة لقول الشعر الغزلي مع قدرته على ذلك، وتدوقه إياه، وهذا ما يظهره الحوار التالي: "قال عثمان بن إبراهيم: حججت أنا وأصحاب لنا، فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة، فرأينا عمر بن أبي ربيعة، وقد نسك وترك قول الشعر، فقال بعضنا لبعض: هل لكم فيه؟ فملنا إليه، وسلّمنا عليه، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا. فقال له بعضنا: أيعجبك قول الفرزدق:

سرتُ لعينك سلمى بعد مغفاها  
 فبتت مستلهيًا من بعد مسراها

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ٤ / ٢٧٠، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٩٤

(٢) المصون في الأدب : ١٤

(٣) حماسة القرشي : ٢٣٥، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٥٦

(٤) المصون في الأدب : ١٤

فتحرك ثم قال: يا ويحه! أبعد ما يحز رأسه يميل إليه؟" (١). وهذا نصّ صريح مهم يدل على تنسك الرجل حتى عرف الناس عنه أنه "قد نسك وترك قول الشعر"! وغير خاف أن للمرحلة العمرية في ذلك أثر بيّن!

وكأنّ مرحلة الشباب قد تفلتت من عمر ولم يقض نهمته منها؛ وما ذاك إلا احتفاءً منه بتلك المرحلة، وإيماناً منه بخصوصيتها، فهو يصرّح بعدم انقضاء آماله من مرحلة الشباب تلك؛ إذ يقول في تحسّرّه على ذهاب الشباب:

"إنّ الشباب الذي كُنّا نُزَنُّ (٢) به مَضَى ولم نقضِ مِنْ لَذَاتِهِ أملاً" (٣)

ولذلك فلا غرو أن يذهب عمر بن أبي ربيعة في شعره على حدّ قول الأصمعي - مع اختلاف اللفظ المروي عن الأصمعي بين الشباب والنساء - مع أن الشباب والنساء بالنسبة لحياة عمر بن أبي ربيعة صنوان، يقول الأصمعي مبيّناً هوس عمر بالشباب: "ذهب أمية بعامة ذكر الآخرة وذهب عنترّة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر الشباب" (٤).

ومن أهمية المرحلة العمرية الشبابية في الإبداع أن الناس، والنساء خاصة يتباشرون بالشاعر الخلف الذي يحلّ محلّ الشاعر السلف، الشاعر الذي يكون امتداداً في حياة الغزل، وأشعار اللهو، وهو ما تبديه هذه الواقعة الأدبية التاريخية التي تحكي أنه: "لما مات عمر بن أبي ربيعة نعى لامرأة من مولّدات مكة، وكانت بالشام، فبكت وقالت: من لأباطح مكة؟ ومن يمدح نساءها، ويصف محاسنهن، ويكي طاعتهن؟! فقيل لها: قد نشأ فتى من ولد عثمان بن

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٢٩٨

(٢) أزننت فلانا بكذا، إذا أهتمته به، ينظر: مقاييس اللغة ٣ / ٥

(٣) تذكر أيام الشباب: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢ / ٣٥٥، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة

(٤) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١٠١

عفان على طريقته، فقالت: أنشدوني له، فأنشدوها... فتسلت وقالت: هذا أجلّ عوض، وأفضل خلف، فالحمدُ لله الذي خَلَفَ على حَرَمِهِ وأُمَّتِهِ مثلَ هذا" (١).

### المكانة الوظيفية ( التعيين، العزل، الإمارة).

كما أن للمرحلة العمرية بخصائصها أثرا بيّنا في الإبداع، فإنّ للمكانة الوظيفية أثرا كذلك، ذلك أن التحليل الإنشائي للنص الأدبي قائم حول الإجابة التساؤل الذي أثاره (ياكبسون) : ما الذي يجعل من رسالة كلامية عملا فنيًا؟ وهو ما يميز فنّ الكلام عن سائر الممارسات الأدبية (٢)، وفي العموم فالناس يراعون الأمير في خطاباتهم، وربما نافقوه أو جاملوه، وليس الشأن لمن كان خلوا من منصبه، والأمر نفسه في إبداع المبدع نفسه حال كان أميراً، أو منتسبا إلى شرفٍ ما.

وللنهشلي رأي نقدي حول تغيير الكلام، وتوظيف الألفاظ لخدمة المعاني المرادة، ذاهبا إلى رأي مَنْ كره النفاق البياني، منتصرا (للبعد الأخلاقي في النقد)؛ إذ يقول: "مَرَّ غيلان بن خرشة الضبيّ مع عبد الله بن عامر على نهر أم عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبد الله: ما أصحَّ هذا النهر لأهل هذا المصر! قال غيلان: أجل والله أيها الأمير، فيتعلم العموم فيه صبيانكم، ويكون لسقيانهم ومسيل مياههم، ويأتيهم بميرتهم.

قال: ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر، وكان زياد عدوا لابن عامر، فقال زياد: ما أضرَّ هذا النهر بأهل هذا المصر! قال غيلان: أجل أيها الأمير؛ تنزُّ منه دورهم، ويغرق فيه صبيانهم، ومن أجله يكثر بعوضهم. فكره بعض الناس من البيان مثل هذا المذهب (٣).

ومما يدل على الأثر البيّن لحال المبدع من حيث الثقة بالنفس، والاعتداد بالمكانة الاجتماعية، والمكانة الوظيفية بالمعنى العام، ما تمتع به عمر بن أبي ربيعة من علو همته لتنال أخت الخليفة عبد الملك في زمانه، مع هيبة الخليفة آنذاك إلى حدّ قسم بعض ذويه به (بجياة

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢ / ٥٩٧، وينظر: شرح ديوان الحماسة للتريزي ٢ / ٧٢، والأبيات في ديوان عمر بن

أبي ربيعة ٢٦٤

(٢) تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق: ٣٨

(٣) ينظر: الممتع في صنعة الشعر: ٢٢٥

أمير المؤمنين!) ولا غرو فهو حسب ما يصفه المعجبون فتى قريش، وشاعرها، وذلك على سبيل المديح الراقي، وفي هذه الحادثة التي سردها عمر بن أبي ربيعة -بطولها- ما يشير إلى ذلك؛ وقد اقتضت على ما يهمنا في هذا السياق "قال عمر بن أبي ربيعة:...

فاستقبلها عبد الملك في خاصته، فدخل إليها ثم قال: يا رملة، ألم أنك أن تطوئي بالبيت إلا ليلاً، يحفك الجواري، ويحف الجواري الخدم، ويحف الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن أبي ربيعة؟ قالت: والله، وحياتة أمير المؤمنين ما رأني ساعة قط، فخرج من عندها، فبصر بمضربي، فقال: لمن المضرب؟ قيل: لعمر بن أبي ربيعة. قال: عليّ به. فأتته بلا رداء، ولا حذاء، فدخلت عليه وسلمت عليه؛ قال: يا عمر، ما حملك على الخروج من الحجاز من غير إذني؟ قلت: شوقاً إليك، يا أمير المؤمنين، وصبابةً إلى رؤيتك. فأطرق ملياً، ينكت في الأرض بيده، ثم رفع رأسه فقال: يا عمر، هل لك في واحدة؟ قلت: وما هي، يا أمير المؤمنين؟ قال: رملة أزوجكها، قلت: يا أمير المؤمنين، وإن هذا لكائن، قال: أي، ورب السماء، ثم قال: قد زوجتك، فادخل عليها من غير أن تعلم، فدخلت عليها، فقالت: من أنت؟ هبلتك أمك. فقلت: يا سيدي، أنا المعذب في الثلاث، فارتحلت وأنا عديلهما، فأنشأت أقول:

لعمري، لقد نلتُ الذي كنتُ أرتجي      وأصبحثُ لا أخشى الذي كنتُ أحتذرُ  
فليس كمثلِي اليومَ كسرى وهرمزُ      ولا الملكُ النعمانُ مثلي وقيصرُ(١).

فلم أزل معها بأحسن عيشة وغبطة"(٢).

فأية حال تلك التي تنضح ألفاظها بالفخر والاستغناء، في إشارة إلى عيشه عيشة لا يضاويه فيها ملوك الأرض في زمانه لا كسرى، ولا هرمز، ولا الملك النعمان، ولا قيصر! ولذلك فهو "لا يخشى ما كان يحذر"! يا لها من ألفاظ تمليها الحالة المعنوية المنتصرة التي ما عادت تخشى، ولا تحاذر.

(١) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٩٦

(٢) شرح شواهد المغني ١ / ٣٢٢

وقد فَطِنَ النقاد إلى هذه النفس الواثقة لدى المبدع؛ فأشاروا إلى تعاليه في ألفاظه ومعانيه؛ نظرا لاعتداده بنفسه الشريفة، ومنزلته الرفيعة، ومن ذلك ما أشار إليه المفضل الضبي حول غرض الغزل لدى عمر بن أبي ربيعة؛ من كون الشاعر ليس بالمرتبة العالية في إجادته الغزل، لتأثير نفسه الأميرية الشريفة! وذلك تعليقا من المفضل الضبي على عدد من أبيات عمر، ومنها هذه الأبيات:

"عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شجَاهُ  
ما ضراريَ نفسي بهجرة مَنْ  
واجتنابي بيتَ الحبيبِ وما  
من حبيبٍ أمسى هَـوَاهُ هَـوَاهُ  
ليس مسيئاً ولا بعيداً نَـوَاهُ  
الخلدُ بأشهى إليَّ مَنْ أنْ أراهُ(١).

... كان المفضل يضع من شعر عمر في الغزل، ويقول: إنه لم يرقّ كما رقى الشعراء؛ لأنه ما شكا قطّ من حبيبٍ هَجْرًا، ولا تألم لصدّ؛ وأكثر أوصافه لنفسه وتشبيهه بها، وأنّ أحبابه يجدون به أكثر مما يجد بهم، ويتحسرون عليه أكثر مما يتحسرون عليهم؛ ألا تراه في هذا الشعر - وهو من أرقّ أشعاره - قد ابتدأه بذكر (حبيب هواه هواه)، ووصف أنه هو هجره من غير إساءة، واجتنب بيته مع قربه. وفي غير ذلك يقول:

قد عرفناه وهل يخفى القمر

يصف وصفهنّ إياه بالحسن. ويقول:

قالت لقيّمها وأذرت عبرة  
أطمعتني حتى إذا أوردتني  
مالي ومالك يا أبا الخطّاب  
حلاّتني ولم أسستّم شرابي" (٢)

وهذه النفس الشريفة، وذلك النسب المخزومي القرشي رفعا مقام عمر بن أبي ربيعة لدى نفسه؛ حتى جعلاه يرى في نفسه أن كلّ من يقلل من شعره حاسد له، ولو كان من كان! لذا لم يقبل رأي الشاعر الناقد الفرزدق حين ناقشه، بل أحال ذلك على الحسد، لكن الأمر لم ينته! فالخصم الفرزدق! الذي مع حطّه من قدر المخزومي إلا أنه لم يستطع فكاهه

(١) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٠٠

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٢٦٢، وحلاّت الإبل: إذا منعّها الورد، ينظر: معجم ديوان الأدب ٤/

عن الصلة الوثيقة بحكام زمانه بني أمية! تحكي الواقعة أنّ عمر بن أبي ربيعة أتى " الفرزدق فأنشده من شعره، وقال: كيف ترى شعري؟ قال: أرى شعرا حجازيًا إن أنجد اقشعر. فقال له: حسدتني. فقال: يا ابن أخي، علام أحسدك؟ أنا والله أعظم منك فخرا، وأحسن منك شعرا، وأعلى منك ذكرا" (١).

هذا النَّفسُ المتعالي لدى عمر بن أبي ربيعة حتى مع الكبار أمثال الفرزدق يدعو إلى العجب، ولكنّ هذا العجب لا يلبث أن يزول بعلمنا أن هذا المبدع الشاعر الواصل بنفسه كان يخاطب الخلفاء ويحاورهم بلفظ (ابن العم)! فهو والخلفاء في منزلة أبناء العم، وإنّ لذلك لأبلغ الأثر على اعتداد الشاعر بنفسه، ورؤيته منزلته حتى على من يشبب بها ويتغزل! ومع علمه بعدم رضا الخلفاء عنه؛ بسبب شعره، إلا أن ذلك لم يمنعه من الدخول عليهم بالثقة التامة، والاعتداد المعنوي والاصطفاء اللفظي لوصفه بابن العم، وهذه ثلاث أسردها تباعا تبين ذلك؛ أولاها أنه " لما حجّ عبد الملك بن مروان لقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة، فقال له عبد الملك: لا حيّاك الله يا فاسق. قال: بئست تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط. فقال له: يا فاسق، ذاك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة. ألسنت القائل :

ولو لا أن تعنّفني قريشٌ      مقال الناصح الأدنى الشفيق  
لقلْتُ إذا التقينا قبليني      ولو كنّا على ظهر الطريق (٢).

اغرب" (٣).

وألفاظ الشاعر مع أنه في وصف حالة اجتماعية ودينية تستوجب النصح والتوجيه والإنكار؛ مع ذلك كله إلا أنه يغالط نفسه بأن هذا الإنكار نابع من "الأدنى الشفيق" ذلك أن تعنيف قريش مهما بلغ فلا يخرج عن كونه "مقال الناصح الأدنى الشفيق" لابن قريش وشاعرها!

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ٢٥٨

(٢) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٤٠

(٣) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ٢٦٠، و ينظر الخبر في: الشعر والشعراء ٢ / ٥٤٣

والواقعة الثانية حين "زاد مصعب في حديثه: فقال عمر: بئست تحية ابن العم. فاستحي عبد الملك، وقضى حوائجه"<sup>(١)</sup>. فنفس المبدع المتعالية جعلته يرد كلام المتطاول بأقوى الألفاظ؛ إذ وصف التحية بكونها "بئست تحية ابن العم"، فإذا كنا مأمورين بأحسن التحية للجميع؛ فكيف تكون تحية ابن العم القريب؟ يا له من مقام رفيع كان ملازما للشاعر في حياته، وفي حواراته الثرية، وإبداعاته الشعرية!

وأما الواقعة الثالثة فكانت تحكي اشتهاار عمر بن أبي ربيعة بكونه ابن عم الخليفة، وأنه وصف ذائع معروف، وذلك حين سأل الخليفة عمر بن عبد العزيز: "مَنْ بالباب منهم؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة. قال: لا قَرَبَ اللهُ قرابته، ولا حَيًّا وجهه! أليس هو القائل؟

ألا لیتَ أُنِّيَ یومَ حانتَ منیّتی	شمثُ الذي ما بینَ عینیکِ والفمِ
ولیتَ طهوری کانَ ریقکِ کلّه	ولیتَ حَنوِطی مِنِ مشاشکِ (٢) والدم
ویا لیتَ سلمی فی القبورِ ضجیعی	هنالكُ أو فی جنّةٍ أو جهنّم

فلیتّه والله تمّی لقاءها فی الدنیا، ویعمل عملا صالحا. والله لا دخلَ علیّ أبدا، فمَنْ بالباب غیر من ذکرت؟"<sup>(٣)</sup>.

### المنزلة الاجتماعية ( البنوة ، الأبوة ، الأخوة )

مما يمكن الحديث عنه من مقامات تؤثر في المبدع، وتصبغ نمط حديثه - إضافة إلى المرحلة العمرية، والمكانة الوظيفية - منزلته الاجتماعية من بنوة، أو أبوة، أو أخوة.

وهذا النمط من الخطاب المختلف اختلافا بينا عن سائر خطابات المتكلم نفسه في العديد من المواضع التي طغت بها آلاف الصفحات من مؤلفاته؛ ذلكم هو العالم الجليل شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الذي يمكننا أن نقف على خطابه الموجه إلى أمه، في ألفاظ تنضح رقة، وتزدهي بالذوق العالي، والأدب الجم، والتواضع في مقام بنوته لأمه معتذراً من سفره عنها، وطول مكثه بعيدا عنها، وقد وظّف ما يمكن توظيفه من الألفاظ الموحية

(١) السابق

(٢) كل عظم أمكن مضغه فَهُوَ مشاش، ينظر: جمهرة اللغة / ١ / ١٤٠

(٣) العقد الفريد / ١ / ٣٣٧



بالاعتذار، واستخدام الاستعارات، وضرب الأمثال، في تعبئة نفسية مطلية بالألفاظ الزاهية البهية، الموصلة إلى جميل الاعتذار، مع الإقناع الديني العقلي، وهذا هو الخطاب المصوغ في رسالة منه رحمه الله تعالى إلى والدته رحمها الله، يعتذر فيها عن إقامته بمصر:

" من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقر الله عينها بنعمه ، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمامه وخدمه. سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإننا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين : محمد، عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومن كريمة وآلاء جسيمة، نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله ، ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد، وأياديه جلت عن التعداد.

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد، إنما هو لخدمة الدين و لأمر ضرورية، متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه. وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور فإنكم - والله الحمد- ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على الإقامة والاستيطان شهرا واحدا، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخير. فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة في خير وعافية.

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة، ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور في الخيال. ونحن في كل وقت مهمومون بالسفر، مستخرون الله سبحانه وتعالى، فلا يظن الظان أنا نؤثر على قريبكم شيئا من أمور الدنيا ، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قريبكم أرجح منه، ولكن ثم أمور كبار تهم الإسلام والمسلمين نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوب كثرة الدعاء بالخير، فإن الله يعلم ولا نعلم، ويقدر ولا نقدر، وهو علام الغيوب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كثيرا، وعلى سائر من في البيت من الكبار

والصغار، وسائر الجيران والأهل و الأصحاب واحدا، واحدا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم" (١).

من يطلع على هذه الرسالة الرقيقة للوهلة الأولى لا يكاد يصدق أنها كلمات ابن تيمية نفسه الذي امتلأت المجلدات بعباراته في الحجاج والجدال، ومناقشة الخصوم، وإفحام المخالفين، ودحض الشبهات، وإطفاء الحجة بالحجة. لكنه اختلاف المقام أدى إلى هذا البون الشاسع في نمط الخطاب، ويا له من مقام! مقام الأمومة الحانية المرعية من قبل الابن الصالح البار التقوي الذي راعى مقام أمه فخفض لها جناح اللفظ، وساق إليها المعاني بالتركيب المتميزة في هذا المقام.

وهذا المقتبس من كلام ابن تيمية رحمه الله تتوافق مع أ.د. عامر حلواني فيما ذهب إليه من كون (الأسلوب: مقولةً سيميائيةً بانيةً)، حيث يقول في معرض حديثه عن مباشرة سيميائية أسلوبية: "من ثوابت هذه المباشرة السيمائية أسلوبية التي نطمح إلى تثبيتها أنها ترفض التماهي المطلق مع النص؛ لأنه يكتفي برّد المعنى إلى المؤلف وعصره، ويجعله حكراً عليهما، ولكنها بقدر ماتمارس لعبة التساوي معه فإنها تقترب منه لتجلي إضماره، وتكشف أسراره الدلالية والجمالية في آنٍ واحد. وهذا يعني أن الأسلوب يكتسي حيوية من حيث هو مقولة سيميائية بانية تقتضي بدورها استدعاء تأويلات حقيقية للوقوف على إشكالية المعنى، والهلع من العدمية التي تجابه مصير العلامة، وعليه فيجب ألا يُختزل الأسلوب في مجرد تحسين لغوي، وصيغة تعبيرية مخصوصة... (٢)".

وفي المقابل فمقام الأبوة مع الابن مما يحتم نمطا خاصا من الخطاب، فألفاظ الأب لابنه فلذة كبده، ليست كسائر الألفاظ! فالأب أب! أب بمشاعره، أب بجرصه، أب بانتقاء ألفاظه، أب باختيار معانيه، أب حتى بنبرة حروفه التي نكاد نسمع دويها بين السطور! ومن ذلك ما زخرت به الرسالة الأبوية الناصحة الحانية التي أفعمت محبة وشفقة، وزخرت توجيهها ونصحا، بدءا بعتبة عنوانها إلى آخر حرف فيها؛ تلك هي الرسالة المعنونة بـ(لفتة

(١) مجموع الفتاوى: ٤٨/٢٨

(٢) التحليل السيميائي والمشروع التأويلي: ١٤١

الكبد في نصيحة الولد) لأبي الفرج ابن الجوزي التي وجهها لابنه ناقلًا تجاربه الحياتية، ملخصًا خبراته العملية، مستفيدًا من ثقافته العلمية، ليصوغها كلها في نمط خاص متأثرًا فيه بمقام الأبوة! ومن تلك الرسالة أصطفي هذا المقتبس النصي:

" وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمح كيف حفظك لها؟ فإنه من راعى رُوعي، ومن أهمل تُرك، وإني لأذكر لك بعضَ أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتساءلَ الموفقَ لي. إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همّة عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رزقتُ عقلاً وافراً في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكرُ أي لعبتُ في طريقِ مع صبي قطُّ، ولا ضحكْتُ ضحكًا جارحًا، حتى إني كنتُ ولي سبعِ سنين أو نحوها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخيّرُ حلقةَ مشعبذٍ، بل أطلب المحدث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه.

ولقد وُفقَ لي شيخنا أبو الفضل ابنُ ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعي (المسند) وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل. ولقد كان الصبيان ينزلون دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءًا، وأقعد حُجرةً من الناس إلى جانب الرِّقة فأتشغلُ بالعلم" (١).

وإن من أخص هذا المقام الأبوي أن يتحلى الأب بنمط خاص ينقل فيه تجاربه الشخصية؛ إيمانًا منه أن الابن يرى القدوة في أبيه، ويا له من نمط في الخطاب تمثّل في الفخر الأبوي الذي نقله الأب لابنه ليمتدّ الإرث العلمي، والهمة العالية، من خلال هذه الألفاظ الصادقة، والعبارات الملهمة، والنقل الواقعي لعقود من الزمان امتدت مع الأب منذ كان في السادسة من عمره!

وإن مما يجمل في مقام الأبوة (ومنها الأبوة المعنوية) التي يتعامل فيها الأب أو الكبير مع الصغار أن يتبسط لهم في الألفاظ، وأن ينزل إلى مستواهم اللغوي، و قدراتهم الفكرية، واهتماماتهم، وذلك ما نراه جليًا في شاعر الفخر والإباء، والمعارك والنزال، والحجاج والهجاء،

والملاحاة والخصومات، الشاعر الذي امتلأ ديوانه من الألفاظ الجزلة، والأصوات المدوية، والصور الفنية التي لا تأتي للمبصرين، وأتى بها الشاعر الأعمى، هو ذاته يتبسط في الحديث مع (ربابته) ويخاطبها بنمط تفهمه وتألفه، في أبيات قصيرة في وزنها، خفيفة في لفظها، منطلقاً من معجم شعري ينضح بلغة البيت بدجاجة وديك، وخله وزيته، ذلك أنه "يجب على من يكتب للأطفال أن يظل متيقظاً لهذا الجمهور، ويمتلك أدوات التواصل معه" (١)؛ وهو ما نراه لدى بشار إذ يقول فيما أشتهر عنه، وهو الأب والكبير في حالة نفسية لمن حوله من الصغار:

"ربابة ربة البيت  
لها عشر دجاجات  
تصب الخلل في الزيت  
وذلك حسن الصوت"

وبتأمل العلاقة بين الأخ وأخيه يتبدى سقوط الكلفة بينهما، حتى وإن اختلفا في توجه، والسلوك، وإن تباينا في الاهتمامات، وفي واقعنا المعاصر نرى من محدودية التحفظ في أوساط الإخوة ما يبرهن على ذلك؛ فإن نرى الأخ المتساهل في بعض المخالفات الدينية، أو الاجتماعية يجرؤ على عملها أمام أخيه جرأة لا يبلغ معشارها أمام أحد والديه، فالذي يمارس عادة التدخين مثلاً قد لا يخفيها - مع سوءها - عن أخيه، مع إخفائه الكبير لها أمام أمه وأبيه!

ومع تباعد الأزمنة، واختلاف الأمكنة، وتباين المثال؛ فهذا ما نراه في العلاقة بين المبدع عمر بن أبي ربيعة وبين أخيه الذي يخالفه تماماً فيما اشتهر به عمر من الغزل والتشبيب بالنساء، وذلك ما توضحه هذه الواقعة في المعاملة بين عمر وأخيه الحارث، "وكان أخوه الحارث خيراً عفيفاً، فعاتبه يوماً من الأيام، قال عمر: وكنت يومئذ على ميعاد من الثريا، قال: فرحت إلى المسجد مع المغرب، وجاءت الثريا (للميعاد)، فتجد الحارث مستلقياً على فراشه، فألقت بنفسها عليه وهي لا تشك أني هو! فوثب وقال: من أنت؟ فقيل له: الثريا، فقال: ما أرى عمر انتفع بعظمتنا! قال: وجئت للميعاد ولا أعلم بما كان، فأقبل عليّ وقال:

(١) الخطاب والسرد في قصص الأطفال في الأدب السعودي المعاصر: ١٥

ويُلك، كِدنا والله نفتن بعدك، لا والله إن شعرت إلا و الثريا صاحبتك واقعة عليّ. فقلت: لا تمسك النار بعدها أبدا! فقال: عليك لعنة الله وعليها" (١).

إنّ مخاطبة الأخ أخاه بهذه الجرأة، وعلى هذا المستوى من الدعابة مما يُستبعد وقوع مثله إلا فيما بين الإخوة، إذ لا يحتمل -في الوضع الطبيعي- أن يخاطب الابن أحد والديه بمثل قوله في واقعة كهذه: " لا تمسك النار بعدها أبدا!" بعدما أَلقت محبوبته بجسدها على أخيه! ولغة الشفقة بادية واضحة في محيط الحوار الأخوي المشفق؛ فهذا هو عمر بن أبي ربيعة يطمن أخاه بالألفاظ الرقيقة المشفقة، وأغلظ الوعود على سلامة دينه، وأن شعره لا يتجاوز الأقوال إلى أفعال؛ مصطفياً في هذا الحوار عبارات نديّة؛ وذلك فيما " قيل: إن عمر بن أبي ربيعة لما اشتدّ به المرض بكى أخوه، فرفع طرفه وقال: لعلك تشفق مما قلت في شعري؟ قال: نعم. قال: عتق ما أملك أن وطئت امرأة حراماً قطُّ. فقال: الحمد لله، هَوّنت عليّ " (٢).

وقد ترجم الشاعر منزلة الأخ والوالد لدى الأخت، حتى إنها لتقسم بحق هذا وحرمة ذلك (مع التحفظ على القسم بغير الله تعالى)، وهو ما نراه في الأبيات التالية التي تضمنت في معرض الغزل منزلة رجلين مهمين في حياتها الأب والأخ: قال " إسحاق بن ابراهيم الموصللي قال: كان يقال قديماً: إذا قسا عليك قلب القرشي من تهامة، فغنه بشعر عمر بن أبي ربيعة وغناء ابن سريج. وكذا فعل أشعب برجل من أهل مكة من بني هاشم،... غنيته بغناء ابن سريج المكّي وقول ابن أبي ربيعة القرشي:

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٥٤٣

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢ / ٢٥١

نظرتُ إليها بالمحصَّبِ مِنْ مِئِي  
فقلتُ أشمسُ أم مصايحُ راهبٍ  
بعيدةٌ مهوى القِرطِ إمّا لنوفلي  
ولي نظرٌ لولا التحرُّجِ عارمُ  
بدتُ لك تحت السَّجفِ (١) أم أنتَ حالمُ  
أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ (٢)

قال: فحرَّكت والله من طربه، وكان الذي أردت؛ ثم غنيته لابن أبي ربيعة القرشي أيضا:  
ولولا أن يقول لنا قريشُ  
لقلتُ إذ التقينا قبليني  
مقال الناصح الأذنى الشففيق  
وإن كنّا بقارعة الطريق (٤).

فقال: أحسن والله! هكذا يطيب التلقّي، لا بالخوف والتوقّي! قال: فلما رأته قد طرب  
للصوتين ولم يند لي بشيء، قلت: هو الثالث وإلا فعليه السلام. قال: فغنيته الثالث من غناء  
ابن سريج قول عمر بن أبي ربيعة، ويقال إنها لجميل:

ما زلتُ أمتحنُ الدساكر (٦) دوها  
فوضعتُ كفي عندَ مقطعِ خصرها  
قالت: وحقّ أخي وحرمة والدي  
فخرجتُ خيفةً قولها فتبسّمتُ  
فرشفتُ فاهها آخذًا بقرونها  
حتى ولجتُ على خفي الموج  
فتنقّستُ نفّسًا ولم تتلّهج  
لأنبهنّ الحيّ إن لم تخرج  
فعلمتُ أن يمينها لم تخرج  
رشفَ النزيفِ ببردِ ماء الحشرج (١).

(١) السَّجف والسَّجف: السَّجف، ينظر: المخصص ١ / ٣٨٨

(٢) ينظر هذا البيت في: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١ / ٣١٤، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي  
الدين عبد الحميد ٢ / ١٨٩، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣١٤

(٤) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٤٠

(٦) الدسكرة بناءً شبه قصر حوله بيوت والجميع الدساكر تكون للملوك وهو مُعرب، ينظر: في التعريب والمعرب وهو  
المعروف بحاشية ابن بري: ٨٨

فصاح الهاشمي: أوّه! أحسنَ والله وأحسنَت! وأمرَ لي بألف درهم، وثلاثين حُلّة وخلعةٍ كانت عليه. (٣). وهذا الذي دعا الناقد العلويّ إلى التعليق على أن اليمين جاء منتقى لبيان أهمية قدر محبوبته، الذي من خلاله تبين أهمية منزلة الأب والأخ في انتقاء الشاعر الألفاظ لهما، وتصويرهما في السرد الشعري، وتوظيفهما التوظيف اللائق؛ حيث قال: فانظر إلى ما حكاها من يمينها على جهة الإعظام لها ورفع القدر منها(٤).

وهذه المنزلة تتضح أكثر من خلال إجراء الاستعارة بطولها التابع لطول أبيها! وهو من صفات المديح لدى الرجال والنساء، يقول ابن خفاجة حول بيت:  
بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل أبوها وإمّا عبء شمسٍ وهاشمٍ(٥).

" فإنه إنما أراد أن يصف هذه المرأة بطول العنق، فلو عبّر عن ذلك باللفظ الموضوع له لقال: طويلة العنق، فعدل عن ذلك، وأتى بلفظ يدل عليه، وليس هو الموضوع له. فقال: بعيدة مهوى القرط، فدل بُعد مهوى قرطها على طول الجيد، وكان في ذلك من المبالغة ما ليس في قوله: طويلة العنق؛ لأن بعد مهوى القرط يدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه طويلة العنق؛ لأنّ كلّ بعيدة مهوى القرط طويلة العنق، وليس كلّ طويلة العنق بعيدة مهوى القرط؛ إذا كان الطول في عنقها يسيرا وهذا موضع يجب فهمه"(٧). وهذا مما يدخل في فن التتبع، بل هو من "أبداع ما قيل في التتبع، قال أبو علي: هو أن يريد الشاعر معنى،

(١) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٩٠ ، و الحشْرَج: الحِسي وهو مكان مستنقع الماء، ينظر: جمهرة اللغة ٢ /

(٣) العقد الفريد (٧ / ٥٦)

(٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣ / ٨٧

(٥) البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣١٤

(٧) سر الفصاحة ٢٣٠

فلا يأتي باللفظ الدال عليه، بل بلفظ تابع له، فإذا دل التابع، أبان عن المتبوع، وأحسن ما قيل في ذلك، وأبدعه، قول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفلٍ أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

إنما ذهب إلى وصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى يدل على طول الجيد، وهو قوله: بعيدة مهوى القرط" (٢).

ومن المقامات المؤثرة، مقام البنوة، ومراعاة المبدع في ألفاظه وصف الابن أمام أبيه، والاحتراس من الفهم الخاطئ الذي ربما كان لسوء الظنّ إليه مدخلا، وهو الذي تنضح فيه ألفاظ بيت عمر بن أبي ربيعة الذي طمأن فيه أبا على ابنه، بأن حب الشاعر للابن لا يعدو حب الجمال الظاهر، دون أن يصل إلى ما يخشى وقوعه! وهذا أحال خيفة الأب وعتابه إلى ضحك واطمئنان، وذلك عندما "كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي يساير عروة بن الزبير، فقال له: أين زينُ المواكب؟ يريد ابنه محمد بن عروة، وكان يُلقب بذلك لجماله، فقال: هو أمامك، فركض يطلبه، فقال له عروة: أو لسنا أكفءاً كراماً نصلح لمحدثك؟ فقال: بلى، بأبي أنت وأمي، ولكني مُغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان، ثم قال:

إني امرؤٌ موعٌ بالحُسنِ أتبعُهُ لا حظَّ لي فيه إلا لذةُ النَّظَرِ

ثم مضى عمر حتى لحقه، وجعل عروة يضحك (٤).

### المبحث الثاني:

### السلم والحرب

من أكثر ما يؤثر في المبدع، وبصغ نمط خطابه مقام الحرب الذي يباين مقام السلم ويخالفه، حتى إننا نرى في القصائد الحربية ما يبدو فيه " أن الانفعال بالموضوع قد غلب العناية بافتعال الشكل " (٥) وتنميته، لأن المقام مقام حرب، واللغة للسلاح لا للملاح!

(٢) حلية المحاضرة : ٩ ، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣١٤

(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢ / ١٨٥ ، والبيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٩٦

(٥) شعرية الحرب، الرؤية الفنية والوظيفة الشعرية: ١٣٢



وإن كان في تراثنا الأدبي من الشعراء من قد عُرف بلغة الحرب، وأشعار الحرب، وأجواء الحرب؛ كعنتره مثلاً الذي قال فيه الأصمعي: " ذهب أمية بن أبي الصلت في الشعر بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنتره بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبي ربيعة بعامة ذكر النساء" (١).

وإنّ مما يمكن الوقوف عليه بجلاء من تأثير الحرب في اختلاف نمط خطاب المبدع ما يتناقله الرواة من بيت بشار بن أبي بُرد المشهور في إغاظه الأعداء، وتخويفهم وفخره بنفسه، واعتداده بمضرب؛ حيث قال على طريقة " فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع...:

إذا ما غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضْرِبَةً      هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا  
إذا ما أَعْرَتْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ      ذُرَى مِنْبِرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار " (٢).

وقد يمزج الشاعر في غزلياته بين اللغة الغزلية الرقيقة، واللغة المشتملة على الألفاظ الحربية مثل الإنجاز والشفاء، وهذا مما يطالعنا في هذين البيتين لعمر بن أبي ربيعة:

"ليت هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا نَعِدُ      وَشَقَمْتُ أَنْفَسَنَا مِمَّا نَجِدُ  
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِمَّا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ" (٣)

فألفاظ الإنجاز، والشفاء، والاستبداد، والعجز تداخلت وهي ألفاظ حربية في عمومها مع الغزل الرقيق.

ومما تعانق فيه اللفظ الحربي مع الغزلي ما نراه من استخدام سهام العيون، والقتل بالنظرات، والسلامة من شراكها، ومن ذلك ما جاء في أبيات "عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أنا في باب القصرِ في بعضِ ما      أطلبُ من قصرِهِمُ، إذ رَمَى  
شبههُ غزالٍ بسهامٍ فَمَا      أخطأُ سَهْمَاهُ وَلَكِنَّمَا  
عِينَاهُ سَهْمَانِ لَهُ كَلَّمَا      أَرَادَ قَتْلِي بِهَمَا، سَلَّمَا" (٥)

فالعينان أداتا حرب؛ سهمان نافذان يريدان القتل، ويملكان التسليم!

والشاعر وإن كان متغزلاً عاشقاً إلا أنه إذا عرّج في قصيدته على فخره وحروبه وملاقاة الأعداء تتغير معه الألفاظ، وتعلو نبرة الخطاب، ويرتقي فيه الأسلوب إلى الألفاظ الموحية بالقوة والشجاعة، وهو ما نراه جلياً في هذا النصّ الشعري للشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مع ما مزجه من فخر وإبداء شجاعة، مع وضوح في اختلاف معجمه الشعري في هذا النص؛ نظراً لما اشتمل عليه من ألفاظ الحروب و الفخر، مع مراعاة ما في النص من مواضع (التناص) الظاهرة من قصيدة حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فغير خاف لفظ (فإمّا تعرضوا عتّا اعتمرنا) الذي ورد بقريب من لفظه في هذا النص، ولا (بطن مكة) عن التناصّ ببعيد، لما فيه من (الاستعلاء النصّي للنص) أو ما يعرف بمصطلح (التعاليات النصية)، وهو كل " ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى" (٧)، وأمّا نص عمر بن أبي ربيعة فهو نص مهم في تميز معجمه، وقوة ألفاظه؛ لارتباطه بالفخر والحرب:

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١ / ١٢٤

(٣) البرصان والعرجان والعميان والحولان ٢٧، والبيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة ١٠٦

(٥) الشفاء في بديع الاكتفاء ٤٨، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٥٤

(٧) آفاق التناصية، المفهوم والمنظور: ١٦٠، وينظر: توظيف كتاب (طوق الحمام) لابن حزم في رواية (طوق الحمام)

لرجاء عالم دراسة في ضوء نظرية (التعلق النصي): ٩

لقولٍ ممّازحٍ ملقٍ كذوبٍ  
 قرى ما بين مأرب فالذروبِ  
 وسامي الطرفِ ذي حضرٍ نجيبِ  
 رئيسِ القومِ أجمعٍ للهروبِ  
 نشل<sup>(٣)</sup> نخافُ عاقبةَ الخطوبِ  
 مصاليتُ مساعرُ في الحروبِ  
 فواضِلنا بمختبِطٍ خصيبِ  
 كما قد بادَ من عددِ الشعوبِ  
 ونكتسبُ العلاءَ مع الكُسوبِ  
 همُ أهلُ الفواضِلِ والسّيوبِ<sup>(٤)</sup>  
 به ومناخُ واجبةُ الجنوبِ  
 على طولِ الكرى وعلى الدؤوبِ

"فإما تعرضي عنّا وتعددي  
 سبقنا بالمكّارم فاستبحنا  
 بكلّ قيادٍ سلهبة<sup>(١)</sup> سبوح  
 ونحنُ فوارسُ الهيجا إذا ما  
 نقيمُ على الحفاظِ فلنُ ترانا  
 ويمنعُ سرّينا في الحربِ شمُ  
 ويأمنُ جازنا فينا ويلقى  
 ونعلمُ أنّنا سنبيدُ يومًا  
 فتجتنبُ المقاذع<sup>(٢)</sup> حيثُ كانتُ  
 ولو سئلتُ بنا البطحاءُ قالتُ  
 ويشرقُ بطنُ مكة حينَ نضحى  
 وأشعثُ إنْ دعوتُ أجابَ وهنّا

اصطبغ هذا النصّ بالأجواء الحربية، وبرائحة المعارك، رغم غرض الغزل الأساسي، فحتى اسم المحبوبة هنا جاء على سبيل التعريض لا التصريح، مع تكرار هذا الاسم الرمزي في هذا النص سبع مرات، هذا مع كونه اسمًا مستعارًا موري به، لا اسمًا صريحًا! وألفاظ السؤال عن الحال، وبيان مراعاة الجار، ومادة الفناء، وذكر الأمم السالفة، كل ذلك مما نضح فيه بناء النصّ؛ لكونه مبنيا على أجواء بطحاء مكة ومفاخرها! وما يستلزمه ذلك الجو من شعث، ومناخ وارتحال!

(١) سلهبة: الفرس الطويل العظيم، ينظر: البارع في اللغة: ٢٠٥

(٢) نشل: يدور معناها حول الإخراج، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٦٧ / ٨

(٣) المقاذع: الفواحش، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ١٧٨٧ / ٣

(٤) السّيوب: العطية، ينظر: تهذيب اللغة ٦٧ / ١٣

ومن الواضح البين أن ألفاظ السلم والحرب، والدُّنْب والحِطْأ، من الألفاظ الحربية الواردة حسب نمط الخطاب لدى المبدع؛ من واقع ما تتأثر به حالته آنذاك، ومن ذلك ما اجتمع عدد من هذه المصطلحات في هذا البيت، " قال ابن بري: وجدت هذا البيت المنسوب إلى عمر بن أبي ربيعة في شعر أبي عيينة محمد بن أبي سفرة في قصيدة أولها:

تجني عليها أهل مكتومة الذنبا وكانوا لنا سلماً، فصاروا لنا حزباً" (١)

ومما تمليه أجواء الحروب العامة مزاحمتها مقام النسيب، فتتداخل فيه ألفاظ القتل، والعدو، والرقابة، والتوجس، وتحمل السرّ وعدم إفشائه حتى لأقرب الأقربين، ويالها من روعة أن يكتم المكلوم بكاءه؛ معللاً ذلك بقوله "خيفة أن يرى عدو بكائي"! فإن كان لا سبيل إلى دفع البكاء، فإنّ الموقف يحتم ألا يرى العدو ذلك البكاء:

فسلّمتُ واستأنستُ خيفة أن يرى عدوُّ بكائي أو يرى كاشحُ (٢) فعلي  
فقلّت وأرختُ جانب السّجفِ إنّما معي فتكلّم غير ذي رقبّة أهلي  
فقلّت لها ما بي لهم من ترقّب ولكنّ سرّي ليس يحمّله مثلي (٣).

وفي هذا النصّ تبذت واضحة (الوظيفة الرمزية)، التي أرادها الشاعر بإرخاء جانب السّجف، وعدم وجود الرقباء، تلك الوظيفة القائمة على وصف "مداره الظاهر موصوفات مادية، لكن مرجعياتها فيه إنّما تكون محيلة على الخواطر والأفكار وما هو من جنسها" (٥).

### الفقر والغنى.

مما يؤثّر في نمط الخطاب لدى المبدع حالته من الغنى واليسار والسعة والبسط، أو ما يكون عليه من الفقر والفاقة والحاجة إلى لقمة العيش وكسرة الخبز وقوت العيال!  
وإن ألفاظ المبدع الغني بنفسه الذي يسهم في إغناء غيره لألفاظ تفيض عزة ونشوة، ألفاظ ملؤها الافتخار على الاقتدار، فيها من معاني الكفاية، وحمل الأثقال ما ينبئ عن حالة من السرور والغبطة لم تكن لتتأتى لولا ما كان فيه من اليسار الذي استطاع فيه إعانة من يريد. إذ ليس عليه إلا أن يبذل جاهه المدعوم بماله، وإن المال لنعم الجاه! يبذله فيحقق

(١) المعجم المفصل في شواهد العربية ١ / ١١٤

لنفسه من الرضا ما ينعكس على إبداعه، وهذا الذي نعيش فيه من النشوة مع بيتين لعمر بن أبي ربيعة لهما حكاية مائعة طويلة، أورد البيتين، ثم أسرد الحكاية على طولها؛ لأن الوقوف مع التفاصيل الصغير في الحكوي يطلعنا بجلاء على مقام الغنى الذي أثر في ألفاظ المبدع ومعانيه، أما البيتان فهما قوله:

"كفيتُ الفتى العذريَّ ما كانَ نابهَ      ومثلي لأثقالِ التَّوائبِ يَحمِلُ  
أما استُحسنتُ مَنِّي المكارمُ والعُلا      إذا صرَّحتُ أيَّ أقولُ وأفعلُ" (٦)

سعة وكفاية أنفق معها المبدع من ظهر غنى غلاما له على بعير، وحملت عليه قبة حمراء من آدم كانت لأبيه ربيعة، وأضاف إلى ذلك ألف دينار، ومطرف خز! حقا إنه مقام عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي المعروف غير المنكور.

وأما الحكاية فإني أورها -مختصرة- لنقف على أن هذين البيتين في مقام ينم عن الغنى الكبير، الغنى المالي، والغنى النفسي في الرغبة في إعادة غيره مما يشاركه الهوى!

وتلك الواقعة حكاها حماد الراوية بقوله: " أتيت مكة، فجلست في حلقة منها فيها عمر بن أبي ربيعة القرشي، وإذا هم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم، فقال عمر بن أبي ربيعة، أحدثكم عن بعض ذلك... ثم انطلقتُ إلى أهلي وأنا أقول:

كفيتُ الفتى العذريَّ ما كانَ نابهَ      ومثلي لأثقالِ التَّوائبِ يَحمِلُ  
أما استُحسنتُ مَنِّي المكارمُ والعُلا      إذا صرَّحتُ أيَّ أقولُ وأفعلُ" (٨).

(٢) الكاشح: العدو، ينظر: الإبانة في اللغة العربية ٤ / ١١١

(٣) أمالي القالي ٢ / ٧٤، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٩

(٥) طرائق تحليل القصة: ٢٠٩، وينظر: الخطاب السرد في روايات عبد الله الجفري: ١٨٣

(٦) العقد الفريد ٨ / ١٥١

(٨) العقد الفريد ٨ / ١٥١، وينظر الخبر: الفرج بعد الشدة ٤ / ٤٠٢، وجزء من الأبيات: مصارع العشاق ١ / ٩٣

ومن الغنى غنى النفس الذي لازم المبدع طوال حياته؛ لظروف متوافرة فيه: من حيث النشأة الاجتماعية، ويسار الأب، ونعيم الأسرة، ونحو ذلك مما يجعله يترفع عن النزول إلى مديح الآخرين ولو كانوا ملوكا وخلفاء، وها هنا نص مهم يلقي الضوء على نفسية عمر بن أبي ربيعة، كونه من آل المغيرة الذي أضاف إليه من عزة نفسه الشيء البين الكثير، وهذا المؤثر في المبدع هنا قد يكون من أقوى الأسباب التي يمكن توظيفها في الفهم حال تحليل نفسيته؛ من كونه يتغزل بنفسه لا بالنساء حال وصفه تعلق النساء به، وتماوتن في ذكره، فالذي شامت نفسه عن مدح الخلفاء، لن يتماوت للنساء؛ تورد لنا هذه القطعية السردية أنه " وفد عمر بن أبي ربيعة على عبد الملك فرحب به وأجلسه على سريره، فقال له: يا أبا الخطاب، هل أطرفتنا ببعض مديحك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن آل المغيرة كانوا يمدحون ولا يمدحون، ولست أول من أبدع ذلك فيهم. فقال: إذا كان الشاعر من قريش فليكن مثله" (١).

وهذا غير مستغرب على مثل عمر بن أبي ربيعة ونشأته المترفة، ومكانته من قريش؛ وهذا ما يذكره أهل السير في ترجمته؛ فهو "عمر بن أبي ربيعة هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، أشعر قريش وأوثق أصحاب الغزل، وأوصف الشعراء لأحوال النساء. وُلد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكانت أمه نصرانية، وكان أبوه تاجرًا موسرًا، وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وللخلفاء الثلاثة من بعده" (٢).

**البدواة والحضارة.**

من المقامات المؤثرة في إبداع المبدع، نشأته في المدن، وتقلبه في النعيم والترف، وهذا من التراكمات التأثيرية التي توجه المبدع في مستقبل حياته، وتصبغه صبغة مغايرة لأهل البادية، وهذا ما أثر في حياة عمر بن أبي ربيعة المترف أمًا وأبًا؛ حسب ما يذكر المؤرخون عنه أنه: "عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، واسم أبي ربيعة حذيفة، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى أبا الخطاب، أمه أم ولد سيّية من حضرموت، ويقال من حمير، ومن ثم أتاه

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٥ / ٢١٦

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ٢ / ١٤٥

الغزل؛ لأنه يقال: عشق يماني، ودلّ حجازي" (١). وهذا من أقوى العوامل المؤثرة في حياته؛ إذ "شب في نعيم وترف، وقال الشعر صغيراً، وسلك فيه طريق الغزل، ووصف أحوال النساء وتزاورهن ومداعبة بعضهن لبعض، وتعرض للمحصنات المتعففات من نساء قومه من غيرهن، فوقعن منه في بلاء عظيم، وصرنَ يخفنَ الخروج إلى الحج لأنه كان يتلقاهن...، ويتقرب خروجهن للطواف والسعي ويصفهن وهنّ محرمات، وحلمت عليه رجالات قريش؛ لمكانة نسبه منهم، ولترقب توبته وإقلاعه، فلما تمادى في أمره وشبب بينات السادات والخلفاء غضب عمر بن عبد العزيز ونفاه إلى جزيرة... (٢)، وهو الذي أثر فيه وفي شعره؛ فطالعنا في شعر "رقيق بلفظ رشيق ومعنى أنيق، حتى قال فيه جرير: هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته. وقد سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه" (٣).

وهذه النشأة المؤثرة في المبدع ونمط خطابه جمع في رقة الغزل المبدعين الكبيرين امرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة، والذي نبغ في الغزل المترف، مستمداً ذلك من أمه الحميرية، ومن هناك أتاه الغزل " (٤). وتلك النشأة للمبدعين الغزليين الكبيرين الجاهلي والأموي أثر بين حتى شابه المتأخر المتقدم، فجاء عمر بن أبي ربيعة " كما أتى امرؤ القيس من قبله، وليس بينهما من يساويهما في هذه الطريقة، وإنما نشأ لزمناه فتيان الشعر من القرشيين، كأبي دهب الجمحي، ومن ينزل منزلتهم بما يدل به من سابق الحرمة كعبد الرحمن بن حسان، فلم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجز،...؛ ولكن ابن أبي ربيعة هو الذي استقلت له هذه الطريقة، وكان أول من شهر بها، فبرع نظراءه بسهولة الشعر، وشدة الأسر، وحسن الوصف، وإرسال شعره قصصاً غزلية؛ حتى كأنه إنما يدون فيه تاريخ...، ولذلك فتن به الناس، وكان أشهر أهل الحجاز يومئذ بالظرف والرقه وطباع

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٢٩١

(٢) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ٢ / ١٤٥

(٣) السابق

(٤) ينظر: الأغاني ١ / ٣٢

الغزل" (١). وهو إبداع غزلي لعمر بن أبي ربيعة خاصة، نال به شأوا كبيرا " وبلغ من فتنة شعره للنساء أنهن كن يتدارسنه ويكتبنه " (٢). وهذه النشأة المترفة لعمر بن أبي ربيعة كوّنت بيئة خاصة، و " قد خلقت تلك البيئة عمر خلقا نسائيا، حتى كأنما كنّ ينجذبن إليه للمناسبة الجنسية... فقد كان في أيام الجمع يلبس حلل الوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء، عليها القطوع والديباج، ويسبل ملته، ويخرج يتلقى العراقيات إلى ذات عرق، ويتلقى المدنيات إلى مرّ، ويتلقى الشاميات إلى الكديد " (٣). وهذا ما يمكن أن ندرجه تحت مصطلح (الخطاب المؤسلب) الذي "تهيمن عليه كلمات موسومة بسمة بيئتها، وترد على لسان المؤلف، أو الراوي، أو الشخصية. وكثيرا ما يفهم من بعض الكلمات أو التراكيب إحالتها على البيئة التي منها جاءت، والتي يكثر استخدامها فيها... ويتجسّم الخطاب المؤسلب في بعض الاستعمالات... الشعرية" (٤).

### المبحث الثالث:

#### العوامل الأخرى المؤثرة في تعدد الأنماط:

##### هيبة المخاطب.

مما يراعى من المقامات في نمط الخطاب ما يمت إلى هيبة المخاطب بصِلّة، وهو الذي يصبغ نمط الخطاب بالصبغة الملكية الخاصة، فيستعمل من الألفاظ ما له علاقة بخصائص الملوك من قتل، أو أسر، أو فداء؛ وما ذاك إلا لكون المقام جلّته هيبة ابنة الملك! وذلك في حادثة عمر بن أبي ربيعة مع ابنة عبد الملك بن مروان حين قال في ذلك المقام مخيرا إياها بما يراه مالكة له، وهو خطاب أعجبها، وكافأت عليه من حمل لها تلك الأبيات:

(١) الحيوان ٢ / ٢٨

(٢) الأغاني ١ / ٣٧

(٣) الأغاني ١ / ٨٨

(٤) معجم السرديات: ١٨٥



"أفعلني بالأسير إحدى ثلاثٍ  
 اقتليه قَتلاً سَرِيحًا مُرِيحًا  
 أو أقيدي (١) فإتما النَّفسُ بالنَّفسِ  
 أو صِليه وَصَلاً يَقرُّ عليه  
 وافهمهم يهنّ ثمّ رُدّي جـوابي  
 لا تكوني عليه سوطَ عذابِ  
 قضاءً مُفَصَّلاً في الكتابِ  
 إنَّ شرَّ الوصالِ وَصَلُ الكِذابِ (٢).

في أبيات كثيرة، فأعطت الذي أتاها بالشعر لكل بيت عشرة دنانير! " (٢).

أقدته: انتقمت منه بمثل ما أتى

وهيبة المخاطب مما يملي على المبدع استدعاء اللفظ محل الفخر من المخاطب، أو  
 المتحدث عنه، كالوصف بلفظ قريش المهاب في زمنه، ومنه ما يغنونه لابن أبي ربيعة القرشي:  
 "ولولا أن يقول لنا قريشٌ  
 لقلتُ إذ التقينا قبليني  
 مقال الناصح الأدنى الشفيق  
 وإن كنا بقارعة الطريق" (٣).

(١) أقدته: انتقمت منه بمثل ما أتى، ينظر: العين ١٩٧ / ٥

(٢) الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٦١

## شرف الزمان.

ومما يرد في المقامات المؤثرة في نمط الخطاب، ما يكون من هيبه شرف الزمان، فقد يتوارى المبدع خلف ألفاظه، ويشحنها بألفاظ خيفة الرقيب، والحذر من المغتاب، وتجنب الواشي، وقد يكون لشرف الزمان أثره في نمط الخطاب، وتتعدى ذلك إلى أن يبدع المبدع من القصيد أجمله وأرقه، ثم لا يبيديه من تلقاء نفسه، بل ربما أخفاه حتى يطلبه منه الحبيب، وهذا ما نراه في هذه الواقعة لعمر بن أبي ربيعة في موسم الحج المعظم، حيث تسرد لنا الحادثة ما دل على ذلك؛ حيث "استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فأذن لها، وكتب إلى الحجاج يأمره بالتقدم إلى عمر بن أبي ربيعة أن لا يذكرها في شعره، فلما بلغ عمر مقدمها، لم يكن له همة إلا أن يتهياً بأجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب. وضربت لها قبة في المسجد الحرام، فكانت تكون فيها نهاراً، فإذا أمسّت، تحولت إلى منزلها لتنظر إليه وتجلس بإزاء القبة... قالت: قدمنا مكة فأقمنا أشهراً، فما استطاع الفاسق عمر بن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتاً، كنا نلهو بها في سفرنا هذا. قال: فلعله قد فعل، قالت: فاذهب إليه واسأله، ولك في كل بيت يأتيني به منه عشرة دنانير. فأقبل الرجل، وأتى عمر بن أبي ربيعة، فأخبره الخبر، فقال له: قد فعلت، ولكن أحب أن تكتم عليّ. قال: أفعل، ثم أنشده:

(٢) الشعر والشعراء ٢ / ٥٤١، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٦١

(٣) العقد الفريد ٧ / ٥٦، والأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٤٠

راع الفؤادَ تفرُّقُ الأحبابِ  
 فظللتُ مكتئبًا أكفكف عبْرَةً  
 لما تنادوا للرحيلِ وقربوا  
 كاذ الأسى يقضي عليك صباةً  
 قالت سعيدهُ والدموعُ ذوارفٌ  
 ليت المغيريّ الذي لم تجزه  
 يومَ الرّحيلِ فهاج لي أطرابي  
 سحًا يفيضُ كوابِلِ الأسرابِ  
 بُزّل(١) الجمالِ لطيفةٍ وذهب  
 والوجهُ منك لبينِ إلفك كابي(٢)  
 منها على الخدينِ والجلبابِ  
 فيما أطالَ تصيدي وطلابي

ثم أتى إليها بالأبيات، فأعجبت بها، وأمرت جواربها بحفظها؛ ثم وقت له بما وعدت،  
 وسلّمت إليه في كلّ بيتٍ عشرةً دنانير (٢).

### قدسية المكان.

مراعاة مقام قدسية المكان من الأمور المعتمدة في إبداع المبدع، فللمكان هيئته، وللأجواء  
 القدسية خصوصيتها، وهذا الذي نراه لدى شاعر امتاز بغزله، وكثر فيه لهوه، إلا أنه ينكر  
 على شاب لاه أن يتغزل في المكان المقدس، وهو ما تبديه هذه الحكاية الساردة أنه " بينا  
 عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه، فإذا هو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة  
 الجمال؛ فألقى إليها كلامًا، فقال له عمر: يا عدو الله، في بلد الله الحرام، وعند بيته تصنع  
 هذا؟ فقال: يا عماء، إنها ابنة عمي، وأحب الناس إلي، وإني عندها كذلك، وما كان بيني  
 وبينها من سوء قط أكثر مما رأيت... " (٣).

وهكذا يسير الخطاب في ارتباط شفوي، " يعتمد فيه على التبادل الكلامي، والمبدأ  
 التفاعلي، والإقناعي، والحجاجي بهدف الإفهام، والتواصل، وتوجيه المخاطبين نحو القصد  
 المطلوب تبليغه من الخطاب " (٤).

وهذه القدسية الخاصة، والمراعاة المعتمدة للأجواء الإيمانية الروحية، حملت شاعر الهجاء،  
 وفارس النقائص، وصاحب اللسان الجراح الشاعر جريراً أن يلجم لسانه بلجام الإيمان، وأن  
 ينأى بنفسه عن الفسوق والجدال في الحج، مع أنه أمام تحدٍ كبير مع ألدّ خصومه من

(١) بزل البعير: إذا شق نابه، ينظر: أساس البلاغة ١ / ٥٩

(٢) كبا لوجهه يكبو كَبُوًّا : سقط ؛ فهو كَابٍ، ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٦ / ٢٤٧١

الشعراء، أمام الفرزدق الذي أراد إفساد حج جرير فابتدأه المفاخرة، واستفتحه الانتقاص، لعلمه بحدة طبع جرير القائل: "لا أبتدي ولكن أعتدي" (٥)، مع علم كل واحد منهما بطباع صاحبه، وهنا كأن الفرزدق ابتداء ليعتدي جرير في الرد حين "بصر الفرزدق بجرير محرماً فقال: والله لأفسدن على ابن المراغة حجّه. ثم جاءه مستقبلاً له، فجهره بمشقص (٦) كان معه، ثم قال:

إِنَّكَ لَاقٍ بِالْمِشَاعِرِ مِنْ مِئِيٍّ      فَخَارًا فَخَيْرِي بِمَنْ أَنْتَ فَاخِرُ  
فقال جرير: لبيك اللهم لبيك. ولم يجبه" (٨).

ومن ذلك الإنكار مراعاة لقدسية المكان ما دار بين الرفيقيين الشاعرين الغزليين فيما حكاه الأصبغي بقوله: "كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف، فكتب فيها:

أَلِمَّا بِذَاتِ الْخَالِ فَاسْتَطَلَعَا لَنَا      عَلَى الْعَهْدِ بَاقٍ وَدُهَا أَمْ تَصَرَّمَا  
وَقَوْلَا لَهَا: إِنَّ النَّوَى أَجْنِبِيَّةٌ      بِنَا وَبِكُمْ قَدْ خِفْتُ أَنْ تَتِيَمَمَا

فقال له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مسلمة محرمة تكتب إليها بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيرت في الناس من الشعر، ورب هذه البنية ما قبل منها وما دبر، ما قولت امرأة قط ما لم تقله، ولا طالعت فرج حرام قط" (١٠).

(٢) المحاسن والأضداد ٢٨٧، والأبيات الأربعة الأولى في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٥٠

(٣) المحاسن والأضداد: ٢٩٧، وينظر الخبر في: العقد الفريد ٦ / ٢٣١، وزهر الآداب وثمر الألباب ١ / ٢٩٧

(٤) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: ١٧٩

(٥) البصائر والذخائر ٩ / ١٩٧

(٦) المشقص: النصل الطويل العريض، ينظر: لسان العرب (شقص)

(٨) البيان والتبيين ٢ / ١٢٦

(١٠) الموشى ٥٧، والبيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣١٧

ومن قدسية المكان ما يؤثر على معاني المبدع فيختار لها من نمط الخطاب ما يوافق الصدود وعدم الإقدام ولا التمادي في نتائج الغزل، التي قد تودي به إلى ما لا تُحمد عقباه، وهذا ما نقف عليه في هذه الحادثة الواقعة في فناء البيت المقدس، قرب الكعبة المشرفة التي يُقسم بربها تعظيماً له تعالى ومهابة لتلك البنية، قال السارد "دخل عمر بن أبي ربيعة المسجد الحرام وهو يحاصر رجلاً من قريش، فنظر إلى عائشة بنت طلحة جالسةً بفناء الكعبة، فعدلاً إليها وحادثها، فقالَ عمر: ألا أنشدك ما قلتُ في موسمنا هذا؟ قالت: بلى، فأنشدها:

يا رَبَّةَ البَغْلَةِ الشَّهْبَاءِ هَلْ لِكَ فِي      أَنْ تَنْشُرِي عُمَرًا لَا تُرْهَقِي حَرْجَا  
قَالَتْ بِدَائِكَ مُتٌ أَوْ عِشْ تُعَالِجُهُ      فَمَا نَرَى لَكَ فِيمَا عِنْدَنَا فَرْجَا  
قَدْ كُنْتَ حَمَلْتَنَا ثِقَلًا نَعَالِجُهُ      فَإِنْ تُقِدْنَا فَقَدْ عَنَيْتَنَا حَجْجَا  
فَقَالَتْ: لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبِنْيَةِ، يَا أَبَا الْخَطَابِ، مَا عَنَيْتَنَا قَطُّ طَرْفَةً عَيْنٍ" (٢).

### الخاتمة

الحمد لله تعالى على تيسير هذا البحث الذي عُني باختلاف نمط الخلاف من منظور المبدع نفسه، حيث تطرق البحث إلى أن المبدع الواحد يختلف نمط خطابه باختلاف حاله، وقد راعى البحث العديد من الأنماط المؤثرة في الخطاب؛ سواء منها ما كانت أنماطاً خاصة، أم عامة، وعزّز البحث ما قرره نظرياً بالشواهد التطبيقية التي تدعم التنظير، وتؤيده، وتوضحه.

وقد حرص البحث على التنوع بالشواهد المدروسة؛ وإن كان النصيب الأكبر قد تمحور حول الشاعر الغزلي عمر بن أبي ربيعة؛ نظراً لبعض المزايا النمطية في خطابه التي تبينت للقارئ الكريم في صفحات هذا البحث.

وأشير إلى بعض النتائج المستوحاة من هذا البحث، ومنها:

- التأثير البين للمرحلة العمرية في اختلاف نمط الخطاب.
- أثر المكانة الوظيفية في إبداع المبدع نفسه حال كان أميراً، أو منتسباً إلى شرفٍ مّا.
- التأثير البين في نمط الخطاب نظراً لاختلاف منزلته الاجتماعية من بنوة، أو أبوة، أو أخوة.

- ومن المقامات المؤثرة، الداخلة في مقام النبوة، مراعاة المبدع في ألفاظه وصف الابن أمام أبيه.
- من أكثر ما يؤثر في المبدع، ويصبغ نمط خطابه مقام الحرب الذي يبين مقام السلم ويخالفه.
- قد يمزج الشاعر في غزلياته بين اللغة الغزلية الرقيقة، واللغة المشتعلة على الألفاظ الحربية مثل الإنجاز والشفاء.
- مما يؤثر في نمط الخطاب لدى المبدع حالته من الغنى واليسار والسعة والبسط، أو ما يكون عليه من الفقر والفاقة.
- من المقامات المؤثرة في إبداع المبدع، نشأته في المدن، وتقلبه في النعيم والترف، مما يولد تراكمات تأثيرية توجهه في مستقبل حياته، وتصبغه صبغة مغايرة لأهل البادية.
- مما يؤثر في نمط الخطاب الصبغة الملكية الخاصة، التي يراعيها في مجالس الملوك حسية أو معنوية، فيستعمل من الألفاظ ما له علاقة بخصائص الملوك من قتل، أو أسر، أو فداء، ونحوها.
- من المقامات ما يتطلب نمط خطاب خاص، ومن ذلك ما يملي على المبدع استدعاء اللفظ محل الفخر من المخاطب، أو المتحدث عنه، كالوصف بلفظ قريش المهاب في زمنه.
- مما يرد في المقامات المؤثرة في نمط الخطاب، ما يكون من هيبة شرف الزمان، فقد يتوارى المبدع خلف ألفاظه، ويشحنها بألفاظ خيفة الرقيب، والحذر من المغتاب، وتجنب الواشي.
- مراعاة مقام قدسية المكان من الأمور المعتبرة في إبداع المبدع، فللمكان هيئته، وللأجواء القدسية خصوصيتها.

وإنني في ختام هذه الخاتمة أوصي الأكارم من الباحثين والباحثات بما يلي:

- الالتفات إلى التنقيب عن التفرعات التي يمكن أن يلجوا من خلالها إلى أنماط الخطاب، وما أكثرها!
  - العيش في تراثنا الزاخر بالحكايات والوقائع الأدبية التي من شأنها أن تكون مرتكزا للنظريات النقدية.
  - إعادة قراءة التراث من خلال القراءة متعددة الزوايا، فالنص التراثي صالح للاستخدام في أكثر من استشهاد.
  - التبئير لبعض الحوادث والغوص فيها عموديا لاستجلاء ما يمكن استجلاؤه من إشارات، في محاولة لقراءة ما بين السطور.
  - التوأمة بين النظريات النقدية الحديثة والنصوص التراثية الأصيلة.
- أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير والصلاح، وأن يبارك في هذا الجهد النقدي الذي عشت معه في صفحات هذه البحث في تنوع الأنماط، وتعددتها، وعسى أن يكون نافعا لي ولوالديّ في حياتي وبعد مماتي.
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على خير من نطق الضاد.

### ثبت المصادر والمراجع

- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيار يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتبه هوامشه عبد الأمير علي مهنا، سمير جابر، يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

- آفاق التناسية، المفهوم والمنظور، مجموعة من المؤلفين، تعريب وتقديم محمد خير البقاعي، جداول للنشر والتوزيع- بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣ م
- الأمالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م
- البارع في اللغة، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة بغداد - دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية
- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء ١٩٩٧ م
- التحليل السيميائي والمشروع التأويلي، عامر الحلواني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - صفاقس - تونس، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م
- تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، أ.د. محمد القاضي، مسكيلباني للنشر - تونس، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م



- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م
- توظيف كتاب (طوق الحمام) لابن حزم في رواية (طوق الحمام) لرجاء عالم دراسة في ضوء نظرية (التعلق النصي)، د. دوش بنت فلاح الدوسري، أبها، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أشرفت على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت
- حلية المحاضرة، محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق هلال ناجي، دار مكتبة الحياة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
- حماسة القرشي، عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي، تحقيق خير الدين محمود قبلاوي، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٥م
- الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ
- الخطاب السردى في روايات عبد الله الجفري، علي زعلة، النادي الأدبي الثقافي - جدة، مؤسسة الانتشار العربي، ١٤٣٦هـ
- الخطاب والسرد في قصص الأطفال في الأدب السعودى المعاصر، أسماء عبد الله المغربي، وزارة الثقافة والإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

- الخطاب والسياق في لسانيات التراث، عبد الوهاب صديقي، مجلة جذور، مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث وقضاياها، النادي الأدبي الثقافي بجدة، رجب ١٤٣٦هـ - إبريل ٢٠١٥م
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ
- زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري القيرواني، دار الجليل، بيروت
- الزهرة، أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني، حققه وقدم له وعلق عليه إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م
- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ\_١٩٨٢م
- شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، دار القلم - بيروت
- شرح شواهد المغني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، مذيّل وتعليقات الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ المركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ
- شعرية الحرب، الرؤية الفنية والوظيفة الشعرية، أ.د. محمد نجيب التلاوي، النادي الأدبي الثقافي - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م

- الشفاء في بديع الاكتفاء، محمد بن حسن بن علي بن عثمان النَّوَاجِي، شمس الدين، تحقيق ومراجعة: الدكتور محمود حسن أبو ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ
- الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب، ينسب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق د إلهام عبد الوهاب المفتي - كلية التربية الأساسية، قسم اللغة العربية، جامعة الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية، بيروت، لطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ
- طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر - تونس، ٢٠٠٠ م
- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- فحولة الشعراء، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق المستشرق ش. تورّي، قدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

- الفرج بعد الشدة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- في التعريب والمغرب، عبد الله بن بَرِّي بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري، أبو محمد، ابن أبي الوحش، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة - بيروت
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ
- لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٢٠ هـ
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ هـ/١٩٩٥ م
- المحاسن والأضداد، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ

- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- مصارع العشاق، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري البغدادي، أبو محمد، دار بيروت، بيروت ١٤٠٠ هـ - ١٩٩٨ م
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د. خليفة الميساوي، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
- المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م
- معجم السرديات، محمد القاضي، محمد الخبو، أحمد السماوي، محمد نجيب العمامي، علي عبيد، نور الدين بنخوذ، فتحي النصري، محمد آيت ميهوب، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر - تونس، دار الفارابي - لبنان، مؤسسة الانتشار العربي - لبنان، دار تالة - الجزائر، دار العين - مصر، دار الملتقى - المغرب، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- المعجم المفصل في شواهد العربية، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

- الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٢ م.
- الموشى، محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر - مطبعة الاعتماد، الطبعة الثانية، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٣ م
- نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ